في تعريف العلم وفضله وحكم طلبه

الفصل الأول

تعريف العلم

لغة: نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

اصطلاحاً: فقد قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل، وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف.

والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به: «**علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى**»، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحى، علم ما أنزله الله فقط، قال النبى ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» [1]. وقال النبي ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» [2].

ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله - عز وجل - وليس غيره، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ما ورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها، بل إن الرسول ﷺ حين قدم المدينة وجد الناس يؤبرون النخل - أي يلقحونها - قال لهم لما رأى من تعبهم كلاماً يعني أنه لا حاجة إلى هذا ففعلوا، وتركوا التلقيح، ولكن النخل فسد، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**» [3].

(1) رواه البخارى فى "العلم" (71) باب من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين. ومسلم فى "الزكاة " (2351، 1354) باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم. من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه.

(2) **حسن**. رواه أبو داود فى "العلم" (3641) باب فضل العلم. والترمذى فى "العلم " (2682) باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة. وابن ماجة فى "المقدمة " (223) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. عن أبى الدرداء رضى الله عنه.

(3) رواه مسلم فى "الفضائل" (6013) باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره رسول

ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ﷺ أعلم الناس به، لأن أكثر من يثني عليه بالعلم والعمل هو النبي ﷺ.

إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله، ولكني مع ذلك لا أنكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله، فيكون ذلك خيراً ومصلحة، وقد يكون تعلمها واجباً في بعض الأحيان إذا كان ذلك داخلاً في قوله تعالي:**{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيل}** (الأنفال: 60).

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية [1]، وذلك لأن الناس لابد لهم من أن يطبخون بها، ويشربون بها، وغير ذلك من الأمور التي ينتفعون بها، فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع صار تعلمها فرض كفاية. وهذا محل جدل بين أهل العلم، وعلى كل حال أود أن أقول إن العلم الذى هو محل الثناء هو العلم الشرعي الذي هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإما أن يكون وسيلة إلى خير أو وسيلة إلى شر، فيكون حكمه بحسب ما يكون وسيلة إليه.

* * * * * * * * * * *

الله ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأى. وابن ماجة فى "الأحكام " (2471) باب تلقيح النخل.

(1) انظر إحياء علوم الدين للغزالى (1/ 14).